بسم الله الرحمن الرحيم

اشكالية التأريخ و صناعة التاريخ عند المجتمعات الافريقية

ان الذي يتطرق الى موضوع تاريخ القاره الإفريقية يتوهم بانها لم تكن مسرحا لسيرورة تاريخيه من ناحية السلم الزمني الذي وضعه الانسان منذ ظهور الحضارات و التي ترجح بعض النظريات على ان الفترات النيوليتيك كانت حاسمه في صناعه التاريخ لدى الشعوب الإفريقية وعلى هذا الاساس، تفرعت هذه النظريات في تحديد معنى النيوليتيك ومظاهره على غرار ما قدمته مجلدات اليونسكو سنه 1980 م تحت عنوان التاريخ العام لإفريقيا، حيث تطرقت الباحثة ماريان كورنوفان الى الصعوبات التي واجهها مختصي تاريخ افريقيا في فهم بداية تشكل ماض القارة و قد لخصت هذه النظرة في تسعه تفسيرات يمكن تقسيمها الى ثلاثة اصناف هذه الاخرى مثلت و عبرت عن المراحل التاريخية التي مرت بها القارة و هي مرتبطة اساسا بتطور المناخ و انعكاساته الوخيمة على حياة شعوب القارة اقتصاديا و حضاريا و لخصت هذه الآراء فيما يلي :

الصنف الاول رأى ان مناطق افريقيا جنوب الصحراء قد عرفت فترات النيولتيك بدون الفخار ، عكس مناطق بلاد الرافدين و بعض مواقع شمال افريقيا المعروفة بانتشار الفخار و الزراعة كدليل على استقرار الانسان و بالتالي صناعة الحضارة بابتكار الكتابة و استمرت هذه المرحلة بدون الفخار في بعض مناطق افريقيا قد دام الى غاية عهد اكتشاف الحديد، بمعنى ان القارة بقيت على هذه الحالة مقارنة بالأمم الاخرى التي تطورت حضاريا باكتشاف موارد طاقوية اخرى على غرار الفحم ؛

الصنف الثاني راي تخصص بدراسة ما سمي بالنيولتيك المصري رغم عدم وضوح معالمه ولان تاريخ مصر ارتبط اساسا بعهد الاسرات اما الفترات التي سميت بماقبل الاسرات هي عبارة عن فترات تتقارب في مميزاتها الى مظاهر النيوليتيك بحكم العثور على اثار للمعادن ونعني بها عصر حضارة "نجدا او نغدا" المصرية ولهذا اعتبرها الاثريون لا معنى لها في الفضاء المصري فنجد مثلا الباحث فيركوتر يستعرض مميزات هذه الفترة دون ذكر اسمها (اي النيوليتيك) بل يعتبرها فترة خاصه بحضارات وادي النيل؛

الصنف الثالث راي خصص لفضاء شمال افريقيا وعلى راسهم ليونال بالوت الذي تصور فتره النيوليتيك هي عباره عن فتره كثر فيها النظام الرعوي والمتجه الى استقرار الانسان مع ظهور الزراعة، كما وصفها بفترة بوادر ظهور ما سمي بالحضارة الجبلية مع انتشار الفخار.

كما نلاحظ ان معظم الباحثين تجنبوا استعمال لفظه النيوليتيك بالنسبة للقاره الإفريقية خاصه الحيز الصحراوي رغم ذلك فالدراسات الميدانية اكدت ان الانسان الافريقي قد تأقلم مع وضعه الخاص و صنع لنفسه حضارة حسب مفهومه للطبيعة و ترك لنا اثارا اي تاريخا بغير قصد لكنه من نوع خاص و هذا الذي انتبه اليه هيجو 1980 م و ادرك اهميه هذه المرحلة الحضارية للقاره.

فمساحه صحراء الكبرى تشمل 1/4 مساحه القاره الإفريقية التي عرفت فيها فترات تذبذب و تعاقب المناخ من رطب الى جاف فكانت المرحلة الأخيرة لهذا التغير المناخي قد بدأت منذ اواخر الألفية السادسة و عرفت فيها بداية حركيه ثقافيه وحضارية نتيجة الهجرات نحو الاراضي الخصبة مما سمح بانصهار الكثير من الشعوب في مناطق نسميها الان بإفريقيا جنوب الصحراء واستقراره على حوافها وصادفت هذه الهجرات المتتالية من الشرق الى الغرب وفي بعض الاحيان من الشمال الى الجنوب ظهور ما يسمى بأولى مظاهر اشكال الكتابة في القاره الإفريقية تمثلت في الرسومات الصخرية التي تعبر بحق عن لحظة من لحظات التاريخ في عنفوانه بعيدا عن مفهوم التاريخ الذي وضعته تصورات العالم الغربي في شان مفهومه و الذي يقاس على اساس وجود الوثائق والمستندات المكتوبة التي تدل على وجود المجتمعات والشعوب مثلما صنعتها الكتابات الكلاسيكية منذ عهد المؤرخ الاغريقي هيرودوت.

من اعداد الاستاذ حمادو يوغرطة